ولكنها مجرد آليات فقط ، إننا نركز على الناس باعتبارهم الهدف الحقيقى للتنمية» (الحق، ١٩٩، ٢٣) .

٢ : ٤ : ٣ ولعل أبرز ما فعله الفهم الجديد للتنمية ، فى تمحورها حول الناس ، تعميق محورية الثقافة(*) داخل منظومة التنمية ذات الأبعاد المتعددة باعتبارها القوة الكامنة والمحركة للمجتمع والتى تتساوى فى تأثيرها مع العوامل الاقتصادية والتكنولوجية وتفعل فعلها فى مساعدة الشعوب على تحسين أوضاع حياتهم المادية والفكرية ، دونما إحداث أى تغيير أو متشنج فى أساليب حياة الشعوب أو طرق تفكيرهم . وفى نفس الوقت الإسهام فى إنجاح الخطط أو المشروعات التنموية . (اليونسكو، ٢٠٠٠، ٢٠) الأمر الذى قاد إلى أهمية الميراث الثقافى والقيم الثقافية ، ولا سيما تلك التى تنطوى على عناصر حيوية فى مقدمتها البيئة والعلم باعتباره ثقافة ومعرفة .

وفى ضوء هذا الفهم التنموى الجديد لمكانة الثقافة سقطت المفاضلات بين الثقافة والتنمية : هل الثقافة عامل من عوامل التنمية ؟ أم أن التنمية جزء من أبعاد الثقافة ؟ وبقى التكامل بينهما هو الأساس .

٣. مؤشرات التنمية : من الهم الاقتصادى إلى التأثير الثقافى:

٣ : ١ فى ظل النظرية الكلاسيكية للتنمية ، والتى تركز أساساً على الأهداف المتعلقة بالإنتاج (تكوين رأس المال، ورفع الناتج القومى الإجمالى) ، تم استخدام مقياس أو مؤشر وحيد للتنمية يتناسب مع هذا الهدف ، وهو مستوى أو نصيب داخل الفرد من مجمل الدخل القومى الإجمالى ، بدعوى أن التنمية من أجل الناس.

وفى ظل الانتقادات السابق عرضها والتحولات الجذرية التى أتت على هذا المفهوم المضلل وجاءت بالفهم الجديد للتنمية على أنها تنمية بالناس بماهيتهم واختياراتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية ، بات أى مقياس أو مؤشر فردى لا يصلح ، كما أن أى مركب أو حتى فى مجموعة مفصلة من المؤشرات الإحصائية لا يستطيع أن يرقى إلى الكشف عما تستهدفه التنمية فى ثوبها الجديد .

٣ : ٢ لذا فقد اقترح تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٠ ، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائى تكوين مؤشر للتنمية يتخطى ما هو أبعد من مجمل الدخل

(*) إذا كانت الثقافة قبل مؤتمر مكسيكو سيتى بالمكسيك عام ١٩٨٢ قد أغفلت تنمويا باعتبارها جانب ثانوى من التنمية يقتصر على الآداب والفنون ، فإنها أصبحت بعد هذا المؤتمر «ذلك الكل المعقد الذى يشتمل على تلك الجوانب الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التى يتميز بها مجتمع معين ، أو مجموعة معينة من البشر» ، وبالتالى فإن الثقافة لا تشتمل فقط على الفنون والآداب ، ولكن تمتد لتغطى طرق الحياة وأساليبها والحقوق الأساسية للإنسان ، والنسق القيمى للمجتمع ، والعادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة (انظر اليونسكو، ٢٠٠٠، ٢٢ .

القومى فى قياس التعليم والصحة والقوة الشرائية لمجتمع ما أطلق عليه اسم «مؤشر التنمية البشرية» استناداً إلى تعريف التنمية البشرية باعتبارها «**عملية توسيع الخيارات المتاحة أمام الناس وفقاً لقدراتهم البشرية وتوظيفها أفضل توظيف ممكن فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية**» واعتبر أن أهم هذه الخيارات الثلاث هى :

* الحياة الطويلة الخالية من الأمراض .
* اكتساب المعرفة .
* التمتع بمعيشة كريمة .

وقد تم التعبير عن كل خيار فيها بمؤشر خاص ، وبالتالى أصبح لدينا مؤشر مركب يعكس ثلاثة متغيرات هى : الصحة والتعليم والقدرة الشرائية . فأما **الصحة** فتقاس على أساس : معدل الأعمار المرتقبة عند الولادة (معدلات التعمير) ، وبالنسبة **للتعليم** وهو المعبر عن اكتساب المعرفة ، فتم اختيار مؤشرين هما الألفبائية (أى معدلات القراءة والكتابة) ، وكذلك عدد السنوات التى يقضيها الناس فى المدارس (سنوات التمدرس) ، أما **القوة الشرائية** وهى المعبرة عن مدى تمتع الفرد بمستوى كريم للمعيشة ، فقد تم اختيار متوسط الدخل الفرد الحقيقى (واعتبار خمسة آلاف دولار دخلا مقطوعا لذلك) .

٣ : ٣ ومع الترحيب بتوسيع دائرة قياس التنمية من مجمل الدخل القومى إلى هذه الخيارات الثلاث ، إلا أن نقوداً كثيرة سعت فى سبيل تطوير مؤشر التنمية البشرية ليصبح أكثر شمولا ووفاءً بصورة التنمية فى العالم ، فأقترح لذلك أهمية تضمينه لجوانب هامة أخرى لا يمكن التهوين من شأنها كتلك التى تتصل بالمعايير النوعية للمعيشة ، والحريات الإنسانية ، والأمن ، والتكامل الرشيد مع البيئة ، والمشاركة الشعبية ، وحقوق المرأة وحقوق الإنسان (المدنية والسياسية) ، وأخيراً الحرية الاقتصادية .

وهذا ، إلى جانب الدعوة لتطوير المنهجية التى تعتمد عليها هذه التقارير إعادة فحص وتدقيق البيانات التى تستند إليها لتصبح أكثر دقة وصدقا فى التعبير عن مجالها .

وفى هذه الحدود ؛ ظهرت فى السنوات الأخيرة مقاييس ودلائل متميزة للتعبير عن بعض هذه المطالب ، وفى مقدمتها :

- **دليل الفقر البشرى** ؛ والذى يقيس التقدم الكلى لدولة ما فى تحقيق التنمية البشرية كما يقيس الحرمان فى الأبعاد الثلاثة للتنمية البشرية (التعليم ، الصحة ، الدخل) .

- **دليل التنمية المرتبط بنوع الجنس** : وهو يقيس التفاوتات بين الجنسين فى أبعاد التنمية الثلاثة .
- **مقياس التمكين للجنس** : وهو يقيس حدود دور مشاركة المرأة فى الحياة السياسية والاقتصادية ومراكز صنع القرار . كما يوضح التباينات بينها وبين الرجل فى هذه الأمور استناداً للمتغير الجغرافى أو المكانى .

أن هناك محاولات جادة لتطوير دلائل ومقاييس لمعالجة الاهتمامات التى أغفلتها التقارير الأولى للتنمية البشرية ؟ ، لا سيما تلك المتصلة بالبيئة وصيانتها واستدامتها وتحديد النسل ، وجوانب ثقافية حيوية ذات أهمية كبرى فى عملية التنمية البشرية الحقيقية .

٤ - ثقافة الاستدامة وتجلياتها التنموية :

«أترك العالم على نحو أفضل مما وجدته ، لا تأخذ أكثر مما تحتاج ، لا تحاول الإضرار بالحياة أو البيئة ، وعدل ما فعلته إن كان غير ذلك »

«بول كوهين»

٤ : ١ على الرغم من مرور أكثر من عقدين على صك مصطلحات الاستدامة والتنمية المستدامة إلا أننا لا نستطيع أن نجد اتفاقا على تعريفاتها الأدق ، وإذا كانت بعض التعاريف المرتبطة بالاستدامة تحظى بقبول ما بين القطاعات العامة والأكاديمية ، فهى لا تحظى بمثل هذا القبول على مستوى الفهم الشعبى .

٤ : ٢ ولعل الميلاد الحقيقى لمفهوم الاستدامة المتجهة نحو المستقبل يرتبط بدراسات العلماء الاجتماعيين ؛ حيث كانت الاستدامة وما يرتبط بها من استمرارية طويلة الأجل تعبر عنها صور للمستقبل المنشود هى هاجسهم . ويمكن العثور على هذه المحاولات لدى التاريخيين ، وعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد والإدارة وكذا لدى الإنثربولوجيين . ولم يقتصر على العلوم الاجتماعية بل امتد إلى عدد من العلوم الطبيعية كالسيبرناطيقا .

ففى كل هذه الدراسات كان هناك تأكيد على أن صور المستقبل الممتدة وافتراضاتنا عما هو ممكن ، أو قل الاستدامة فى تحليلها النهائى ، إنما يمكن لها أن تقدم لنا تأثيرات قوية على سلوكنا فى الوقت الحاضر . وأنه كلما كانت هذه الصور إيجابية ومغايرة كلما كان تأثيرها أقوى على السلوك الفردى والجماعى على نحو يستثير حمية الفرد ويحرك الديناميات الكلية للشعوب لتحقيق بدائل أفضل للمجتمع المستدام .

٤ : ٢ : ١ فالتاريخيون مثلا ؛ قد اكتشفوا الدور الذى تلعبه صور المستقبل